مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٨/١/١٧

ليس «تهـديدا مصريا» وليس «تراجعا اسرائيليا

بدأ اليوم اجتماعات اللجنة السياسية بالقدس ، بعدما امكن تجاوز الازمة العنيفة التى كادت تحطم « جسر السلام » الذى مده السادات وبانتهاء الازمة ، وبدء اللجنة السياسية لمهمتها الشاقة اليوم ، تبرز حقيقتان تحكمان الموقف كله

● **الحقيقة الاولى : انه لا تزال هناك « رغبة للسلام » فى اكثر مناطق العالم تفجرا ، تريد ان تبقى على جهود تحقيق السلام ، باعتبار انه لا بديل منه سوى الحرب بكل حتميتها ، وبكل ويلاتها على جانبى المنتصر والمهزوم .. وفى اطار هذه الحقيقة لا ينبغى ان ينظر احد الى تعديل قادة اسرائيل لمطالبهم فى جدول اعمال اللجنة السياسية على انه « تراجع اسرائيلى » أجبرهم عليه الضغط الامريكى باعلان فانس وزير الخارجية الامريكية الاعتذار عن حضور اجتماعات اللجنة السياسية بالقدس . حقيقة هذا الاعتذار ربما انه قد دعا الوزارة الاسرائيلية على نحو ما الى التفكير مرة أخرى لكنه حقيقة أيضا لا يقدر على قلب « القناعات » لو انها كانت مسيطرة بالقدر الذى يرفض معه الفكر أعمال العقل مرة أخرى .. ان الفكر السياسى الناضج ينبغى ان يعترف بأسلوب « الكر والفر » فى التفاوض السياسى .. ليس « متاجرة » بالاهداف السياسية ، ولكن «ديناميكية» فى الوصول الى تحقيقها ، وقد تشمل الديناميكية هنا معنى المناورة .**

● **الحقيقة الثانية : انه هناك لا يزال « موقف السادات » يريد ان يؤكد اصراره — حتى لو تهددت مبادرته بالفشل — على انه لا مساومة على ترك الارض المحتلة بغير ان يبقى بها « مسمار**

جحا » الشهير فى الاسطورة العربية .

وايضا لا مساومة على الاقرار بحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم .

وفى اطار هذه الحقيقة لا ينبغى ان ينظر الصحفيون الاسرائيليون الى التصريحات الاخيرة للرئيس السادات على انها نوع من المناورة للضغط على قادة اسرائيل أو التهديد لاسرائيل .

ان الفكر السياسى الناضج ينبغى ان يواجه بشجاعة « حقائق الموقف » ، ويخطط للحركة السياسية على اساسها .. وقد يكفى ان يستوعب الفكر الاسرائيلى معنى تفهم ووقوف « الحليف الاكبر » له الى جانب الحق الفلسطينى لكى يتأكد ان تصريحات السادات الاخيرة لا تمثل ابدا ضغطا على قادة اسرائيل ولا تهديدا لها ، وانما تمثل فقط « الواقع » الذى يدركه تماما حليفهم الاكبر .. وكيف يجنح الى التهديد بالحرب القائد المنتصر الذى بادر بعد جسر السلام برغم كل مزايدات وانهامات الرافضين .. ان ما جرى خلال الـ ٤٨ ساعة التى ولدت فيها وثبت وشاخت الازمة العنيفة على طريق السلام فى الشرق الاوسط — ابرز اهتمامات العالم الان — قد يكشف عن اتجاهين يحكمان الفكر الاسرائيلى الان :

☐ **اتجاه اول** : يفكر فى مبادرة السادات بواقعية اكبر من خلال ما سبق ان قاله مفكرهم اليهودى « احاد هعام » فى أواخر عام ١٩١٦ وهو الذى مات فى فلسطين فى عام ١٩٢٧ ، وكانوا يلقبونه بفيلسوف الصهيونية الثقافية . كان يقول فى مجلته التى اصدرها شهريا لكى تسهم فى تطوير العبرية الحديثة ومناواة الصهيونية السياسية :

ان البرنامج الذى وضعته الصهيونية السياسية ما هو الا ضرب من الخيال سيرتطم قطعا بالواقع فى يوم من الايام وان المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ستثور حتما فى وجه الدولة المزمع انشاؤها .

وفى هذا الاتجاه الذى أكد فيه مفكرهم « آحاد هعام » على رفضه للصهيونية السياسية كان يرى أن الدولة اليهودية المنفصلة ستكون دويلة صغيرة تعتمد على الدول الكبرى . وقد وصف هذا الوضع بأن الدول الكبرى « ستتناول اسرائيل مثل الكرة » .

ان الذين يفكرون الان فى فلسفة هذا المفكر اليهودى الذى نشأ بقرية صغيرة بأوكرانيا ، وتلقى تعليما يهوديا والذى ناهض تعاليم جمعية احباء صهيون » فى عام ١٨٨٤ ، مطالبا بتحكيم « الاستفادة اليهودية » هؤلاء بالفعل هم الكثرة الذين يطالبون الان — وان كانت صرخات القلة تغطى عليهم — بمزيد من التعقل والواقعية ، فى التفاعل مع مبادرة السادات .

ومن هنا ، فان « تعديل الموقف الاسرائيلى » فى جدول اعمال اللجنة السياسية لا ينبغى ان ينظر اليه ابدا على انه « تراجع اسرائيلى » . انه فى الواقع يستند الى نوع من الفكر الذى يتفهم الحقائق اكثر ، وان كان يتظاهر أمام « الصراخات التى تشد الى الوراء » بأنه يسمع ويستجيب لصراخهم ..

☐ **اتجاه ثان** : وهو يمثل الاقلية الاسرائيلية المحدودة التى تريد أن تغطى بصراخها على صوت العقل . وقد اعترف الصحفيون الاسرائيليون انفسهم بذلك . هذه القلة هى التى

لاتزال تفكر من خلال «الرؤى الايوكاليسبه» فترى فى تصريحات الرئيس السادات الاخيرة ـ تأكيداً على مبادئه » انها من وسائل الضغط على قادة اسرائيل قبل بدء اجتماعات اللجنة السياسية تلويحا بمفاجأة يوم كيبور ، وتهديدا بتكرار اكتوبر . وهذه القلة التى ينبغى الاعتراف بوجودها هى التى تؤمن بكلمة يونانية تعنى « الكشف عن الغيب » عن طريق الاحلام والرؤى الغيبية ، وهى التى تستخدم الكتب الدينية التى تحتوى على هذه الرؤى مثل سفر دانيال . ومعروف أن هناك فى اسرائيل من لايزال شغوفا بهذه الكتب الايوكاليسبه التى ظهرت فى القرن الاول بعد مولد المسيح والشائعة فى الادب الدينى اليهودى والذى تجسد فكره « آخرة الايام » . وخلاصتها ان الشعب اليهودى الذى مني فى تاريخه كله بانكسار اثر انكسار على أيدى البابليين والاشوريين واليونانيين والرومان لن يتركه الخالق فى عذابه الدنيوى هذا ، ولابد أن النهاية الايوكاليسبه للبؤس اليهودى ستتحقق .

والذين تسيطر عليهم هذه الرؤى يفكرون دائما على أساس أن هناك تغيرا مفاجئا وغير مبرر تاريخيا لابد أن يقع فى شكل انفجار يحدث من طريق الخالق . وهم يرون أنه لا حل « للمسألة اليهودية » عن طريق التدرج التاريخى ، او الاستنارة ، او الاندماج او الثورة الاجتماعية ، وانما يجب أن يتم « الان » و « هنا » . وهذا الفكر هو الذى يجسد تماما قول بن جوريون الشهير بأن حدود اسرائيل هى التى يصل اليها الجندى الاسرائيلى .

واذا كان الفكر السياسى وحركته لاتبعد كثيرا عن مثل هذه القناعات الفكرية ، سواء للذين يؤمنون بفلسفة المفكر اليهودى « آحاد هام » ، أو الذين يسترجعون الان « الرؤى الايوكاليسبه » ، فانه لابد ان نتوقع دائما خلال الاجتماعات الشاقة والمرهقة للجنة السياسية ان تقفز دائما افكار تبعد كثيرا من « شقة الخلاف » ، ونو لفترات محدودة .

ولكن يظل السؤال القائم دائما : هل ينتصر فى النهاية تفكير الكثرة العاقلة أم يتدمر أمام صرخات « القلة الحالمة » وتضيع اسرائيل فرصة العمر ؟ ! □

محمد زايد